ظاهِرةُ التَّقارُضِ في الصَّرْفِ العَربيّ بَيْنَ القُدامَى وَالمُحْدَثِين

THE PHENOMENON OF LINGUISTIC EXCHANGE IN ARABIC MORPHOLOGY IN THE VIEW OF THE PREVIOUS AND MODERN LINGUISTS

د. محمد عزيز عبد المقصود
Dr Mohammad Aziz Abdul Maqsood

mohammadaziz1974@yahoo.com

ملخص البحث:

إن في العربية ظاهرتين متعاكستين، وهما على تعاكسهما متداخلتان، بل متكاملتان: ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما تلده، وتحييه، وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه، وكلتا الظاهرتين تعود على العربية بالغنى والثراء، وتمنحها القدرة على التطور والنماء، بل لعل ظاهرة " السبك القالبي " – رغم ما توحي به من رتابة وجمود، أعودُ في بعض الوجوه على اللغة بالثراء والنماء من ظاهرة الحركة الاشتقاقية، لما امتازت به العربية من كثرة الأبنية والصيغ التي تعوّض بأوزانها المتناسقة، المتنوعة أجمل آيات الاشتقاق والتوليد. وإن الصرف العربي لم ينل حظه من الدراسات والاهتمام مثلما حظي به النحو العربي الذي قُدِّمت فيه دراسات وبحوث أظهرت إبداع العرب وقوة لغتهم، ونالت إعجاب اللغويين على مر العصور.

الكلمات المفتاحية: التَّقارُضِ، الصَّرْفِ العَربيّ.

ABSTRACT:

There are two contrary phenomena in Arabic language, though they are interrelated at the same time, indeed they are integral: the derivation phenomena in what it gives and revives, and the phenomenon of potency phraseology of the alphabet in what it forms and adopt. Both phenomena show the Arabic language richness and affluence, and the ability to develop and expand, although the phenomenon of "linguistics formation" with all its stereotypy and inflexibility. It is more beneficial to language in its growth and richness than the derivation phenomena, because of the abundance of Arabic structure formation and formulas that suit with its grammatical regularities, which is the most beautiful parts of derivation and formation. Thus, the Arabic morphology did not get the attention of the scholars (Linguists) in research as it was in the Arabic grammar. This study shows the creativity of the Arabs and the linguistic power of their language that won the admiration of linguists throughout the centuries.

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُهُ ونستهدِيه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنِا ومنْ سيّئاتِ أعمالِنا، وأصَلّي وأسلّمُ على النبيّ الأميّ العربيّ الَّذي علَّمَهُ ربُّهُ ، فكانَ لِسانُهُ عَربيًّا، وأنزلَ عَليهِ كتابًا عربيًّا، وأرسلَهُ إلى النَّاسِ أجمعينَ فكانتْ لغتُهُ لغةً عالميةً، صلاةً وسلامًا عليْكَ ، وعلَى آلِكَ وأصحابِكَ ومَنْ تبَعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ. أمّا بعْدُ

فإن في العربية ظاهرتين متعاكستين، وهما على تعاكسهما متداخلتان، بل متكاملتان: ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما

تلده، وتحييه، وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه، وكلتا الظاهرتين تعود على العربية بالغنى والثراء، وتهبها القدرة على التطور والنماء، بل لعل ظاهرة " السبك القالبي " – رغم ما توحي به من رتابة وجمود، أعودُ في بعض الوجوه على اللغة بالثراء والنماء من ظاهرة الحركة الاشتقاقية، لما امتازت به العربية من كثرة الأبنية والصيغ التي تعوّض بأوزانها المتناسقة، المتنوعة أجمل آيات الاشتقاق والتوليد.[1]

وإن الصرف العربي لم ينل حظه من الدراسات والاهتمام مثلما حظي به النحو العربي الذي قُدِّمت فيه دراسات وبحوث أظهرت إبداع العرب وقوة لغتهم، ونالت إعجاب اللغويين على مر العصور.

وكذلك الدرس الصرفي العربي يعد إنجازا لغويا فريدا فيما اشتمل عليه من أبواب صرفية متنوعة، استطاع الصرفيون من خلالها أن يقدموا للغويين قدامى ومحدثين في أي مكان، أو زمان دراسات مضيئة أنارت لهم دروبهم اللغوية، ونهلوا من معينها، حتى نالوا إعجاب الجميع، وما زال نظام الصرف العربي يحتاج إلى من يقرأه، ويبحث فيه، ويمعن النظر في أبوابه؛ أملا في استنباط لآلئه، وجواهره الثمينة، ومن ذلك ظاهرة التقارض التي تعد من النماذج التي أبدع فيها العرب.

وهذه الدراسة تبحث عن دواعي مجيء ظاهرة التقارض في لغة العرب لا أن تقف فقط عند حد النصوص المنقولة، محاولة أن تقدم تفسيرا لذلك، ففي يقين الباحث أن ظاهرة التقارض وغيرها من الظواهر اللغوية لم ترد دون قصد، وهذا ما سوف يتضح من خلال هذا البحث إن شاء الله.

وقد جاء عنوان البحث " ظاهرة التقارض في الصرف العربي بين القدمى والمحدثين "

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة

جاءت المقدمة مدخلا للبحث وأهميته.

وجاء التمهيد مشتملا على:

- أسباب اختيار الموضوع.
- صعوبات البحث.
- أسئلة البحث.
- أهداف البحث.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة.

المبحث الأول: مفهوم ظاهرة التقارض.

1- مفهوم التقارض لغة.

2- مفهوم التقارض عند اللغويين القدامى والمحدثين.

المبحث الثالث: التقارض بين أبنية الأفعال المزيدة

المبحث الثالث: التقارض بين أبنية المشتقات.

المبحث الرابع: التقارض بين أبنية جمع التكسير.

وتأتي الخلاصة وفيها رؤية في ظاهرة التقارض، وأبرز النتائج.

التمهيد

أسباب اختيار البحث:

لما رأيت بعض الباحثين تكلموا عن ظاهرة التقارض في النحو العربي، وأفردوا لها بحوثا ورسائل، وجاءت دراسات صرفية قليلة لنفس الظاهرة في بعض الأبنية والصيغ، فقد رأيت أن

[1]- الدكتور صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة مايو 2004م ص 328، 329

أقدم على دراسة الظاهرة في الصرفي العربي من خلال تناول القدامى والمحدثين؛ لما رأيته من نصوص كثيرة وردت عندهم تناولوا من خلالها هذه الظاهرة، مع تقديم رؤية الباحث لهذه الظاهرة.

صعوبات البحث:

لا تكمن صعوبات البحث في تتبع الصيغ الصرفية التي حدث بينها تقارض في كتب الصرف؛ وإن كان هذا الأمر يحتاج إلى التنقيب في المصنفات الصرفية، إلا أن تقديم تفسير لمجيء هذه الظاهر في لغة العرب هو الأمر المعني الذي تكمن الصعوبة في الوصول إليه، ومن ثم كان لزاما على من يبحث في مثل هذه الظاهرة أن يمعن النظر فيها كثيرا؛ لتقديم تفسير لها.

أسئلة البحث:

1- ما مفهوم التقارض؟
2- كيف تعامل العرب القدامى والمحدثون مع لغتهم؟
3- هل اللغة العربية لغة مرنة؟
4- لماذا لجأ العرب إلى التقارض في لغتهم؟

أهداف البحث:

1- توضيح المقصود بظاهرة التقارض في الصرف العربي.
2- الكشف عن كيفية تعامل العرب مع لغتهم.
3- بيان سعة اللغة العربية ومرونتها.
4- بيان الأسباب التي جعلت العرب يلجأون إلى التقارض.

منهج البحث:

إن منهج هذا البحث هو منهج وصفي وتحليلي، يقوم على وصف ظاهرة التقارض من خلال المصنفات الصرفية، ثم تحليل هذه الصيغ المتقارضة للوقوف على معانيها.

الدراسات السابقة:

لم أعثر فيما – أتيح لي – من مراجع ومصادر على بحث، أو مصنف جاء بهذا الاسم " ظاهرة التقارض في الصرف العربي بين القدامى والمحدثين "، لكن ورد في ثنايا كتب الصرف إشارات إلى تقارض صيغ صرفية بعضها مكان بعض.
في حين تناول باحثون نفس الظاهرة في الدراسات النحوية والصرفية، وجاء تناولهم في أكثره متناولا قضية نيابة الحروف بعضها مكان بعض، وبعض الأبنية الصرفية وما ترتب عليه من تغيير في المعنى، وبعض الأبواب النحوية المختلفة، وهذه الدراسات هي:

1-ظاهرة التقارض أبعاد صرفية وملامح دلالية.

د/ طاهر عبد الحي محمد شبانة بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الأربعون، المجلد الأول 2007م، وقد قسم الباحث بحثه إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، وتناول في المبحث الأول مفهوم التقارض، وذكر أمثلة له، ثم تناول في المبحث الثاني التقارض بين الأبنية والصيغ، وفي المبحث الثالث تناول التقارض في الخصائص والأحكام، وجاء المبحث الرابع متناولا معالجة دلالية لمسائل نحوية حدث بينها تقارض، وأما المبحث الخامس فقد جعله لمعالجة دلالية لبعض مسائل صرفية حدث بينها تقارض.

وجاء تناوله للأبنية الثلاثية في المبحث الثاني أكثره لبناء " فتَح يفتَح "، في حين تناول هذا البحث التقارض الذي حدث بين الأفعال المزيدة بأنواعها.

ولما تناول التقارض بين صيغ المشتقات ذكر منها ما حدث بين الفاعل والمفعول، وبين الفاعل والصفة المشبهة، في حين تناول هذا البحث التقارض بين صيغ المبالغة والفاعل، وصيغ المبالغة والمفعول، وتناول كذلك عدة أبنية حدث تقارض بينها واسم المفعول، نحو فَعُولة، وفِعْل، وفَعَل.

وجاء حديثه عن التقارض يسن جمعي التكسير مختصرا لا يتجاوز صفحتين ذكر فيهما بعض النصوص المنقولة عن النحاة حدث تقارض فيها تقارض بين جمعي القة والكثرة، في حين جاء تناولي لها أكثر معتمدا على عدة نصوص للقدماء، مع عرض ما ذكره المحدثون.

وقد أفدت من هذه الدراسة في التعرف على بعض النصوص للنحاة القدامى، وقد حدث بينها تقارض.

1-التناوب الدلالي للصيغ الصرفية تطبيق على القرآن الكريم.
د/ عبد الله أحمد البسيوني، ود. دوكوري ماسيري، مجلة جامعة المدينة العالمية لعلوم اللغة، ماليزيا، وقد درس الباحث الترادف بين الصيغ عن طريق ذكر نماذج للصيغ التي أتت بمعنى واحد، واختلفت في البناء، ومن صوره أن تذكر الصيغة بمعنى صيغة أخرى، أو تذكر الصيغتان، ويقال بمعنى واحد، أو تذكر الصيغة، ويقال إنها نقلت من معنى إلى معنى آخر، ويكون ذلك على سبيل الاتساع الدلالي.

2-ظاهرة التقارض في النحو العربي.
د/ أحمد محمد عبد الله، بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 58 عدد صفحاته تسع وأربعون صفحة من 233 إلى 282 وقد تناول الباحث الظاهرة من خلال مدخل تناول فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي، ثم تناول التقارض من خلال أمرين: الأول: التقارض بين اللفظين في الهيئة والشكل.

الثاني: التقارض بين اللفظين في المعاني.

وقد أفدت من الباحث في الإشارة إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي في حين جاء بحثه متناولا بعض الأبواب النحوية، وجاء بحثي هذا منصبا على الجوانب الصرفية.

1-ظاهرة التقارض النحوي في القرآن الكريم.
د/سوزان عبد الواحد عبد الجبار، جامعة الأنبار كلية الآداب، قسم اللغة العربية. بحث منشور بمجلة الأنبار، جامعة العلوم الإسلامية، العدد التاسع، المجلد الأول 2009م عدد صفحاته ثلاثون صفحة من 350 إلى 380

وقد تناولت الباحثة في مقدمة بحثها تعريف التقارض لغة واصطلاحا، ثم تناولت التقارض بين اللفظتين في الأحكام الإعرابية، والتقارض بين اللفظتين في الشكل والهيأة، والتقارض بين اللفظتين في المعاني.

وقد أفدت من الباحثة في الإشارة إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي في حين جاء تناولها بعض الأبواب النحوية، وتناولي منصبا على الجوانب الصرفية.

1-معاني الأبنية في العربية.
د/ فاضل صالح السامرائي.دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1428هـ، 2007م، وتناول في كتابه عدة أبواب صرفية ، نحو: المصادر، والمشتقات، والجموع، والنسب، وقد أفدت منه كثيرا خاصة في بيان معاني أبنية المشتقات.

2–ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفية.

د/ وسمية عبد المحسن المنصور نشر في: (مجلة الدراسات اللغوية – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) 2002م. ونشر مرة ثانية في إصدارات مجلة كلية الآداب– جامعة الإسكندرية 2005م. الإصدارة الأولى الملحقة بالعدد 54 / العام 2005 م ، وأعيد نشره في: إصدارات مجلة كلية الآداب– جامعة الإسكندرية 2005م.

3–وسائل التوفيق بين القاعدة النحوية والتطبيق.

أ. د. عبدالله أحمد جاد الكريم حسن، بحث منشور بالشبكة العنكبوتية على موقع الألوكة الأدبية واللغوية http://www.alukah.net/literature_language/0/9218

تاريخ إضافة البحث 21/ 9 / 2015م الرجوع، وتم تصفحه يوم السبت 13/ 2 / 2016م.

وقد تحدث د/ عبد الله فقط عن معنى التقارض، والتقارض بين غير و إلا، وتناول التقارض بين أن وما المصدريتين، وكذلك أن ولو الشرطيتين، وما وليس النافيتين.

وهو بهذا تناول التقارض النحوي، فلم يتعرض للجوانب الصرفية، وهذا ما سوف يبينه هذا البحث إن شاء الله.

1- التناوب الدلالي بين صيغ الوصف العامل.

د/ طه محمد الجندي،

المبحث الأول : مفهوم ظاهرة التقارض

أولا: مفهوم التقارض لغة:

يقول ابن فارس[1]:" والقرض ما تعطيه غيرك من مال لِيُقضاه.. وهما يتقارضان الثناء إذا أثنى كل واحد منهما على صاحبه"[2].

الصحاح:"والقرض: ما تعطيه من المال لتقْضاه.. واستقرضت من فلان، أي طلبت منه القرض فأقرضني، واقترضت منه: أي أخذت منه القرض "[3].

ويقول ابن منظور[4]:" ويقال: أقرضت فلانا، وهو ما تعطيه ليقضيكه، والقرض ما يُعطيه من المال ليقْضاه، واستقرضت من فلان، أي طلبت منه القرض فأقرضني، وأقرضت منه، أي أخذت منه القرض"[5].

1- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي المتوفى سنة 395هـ

2- ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1406هـ، 1986م، 2/ 748

3- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة 1990م 2/ 1102

4- محمد بن مكرّم بن علي، وقيل: رضوان بن أحمد، بن أبي القاسم بن حقة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه، والجمهرة والنهاية. ولد في المحرم سنة ثلاثين وستمائة .. واختصر كثيرا من كتب الأدب المطولة، كالأغاني والعقد والذخيرة، ومفردات ابن البيطار، وكان عارفا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، واختصر تاريخ دمشق في نحو ربعه، مات في شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة". الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت 911هـ السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية1399هـ، 1979م 1/ 248

5- ابن منظور، لسان العرب لابن منظور، مادة قبض تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، طبعة دار المعارف، مصر 5/ 3589

ويقول صاحب تاج العروس[1]: " وأقرضه المال وغيره: أعطاه إياه قرضا.. ويقال: أقرضت فلانا، وهو ما تعطيه ليقضيكه..، واقترض منه، أي أخذ القرض"[2].

يقول صاحب المحكم والمحيط الأعظم[3]:" وأقرضه المال وغيره: أعطاه إياه قرضا، واستقرضته الشيء فأقرضنيه: قضانيه"[4].
ويقول الفيومي[5]:" والقرض ما تعطيه غيرك من المال؛ لتقضاه،والجمع قروض، مثل فلس وفلوس، وهو اسم من أقرضته المال إقراضا، واستقرض طلب القرض، واقترض أخذه "[6].

ومن خلال النظر إلى ما قاله أصحاب المعاجم فيما سبق نلحظ أن المعنى اللغوي للتقارض يُقصد به الإعطاء والأخذ والتبادل بين الشيئين.

---

[1]– محمد بن محمد بن مرتضى الزبيدي، خير الدين الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة مايو 2002 7/ 95

[2]– الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت 1385هـ ، 1965م، 19/ 18، 19

3– علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده أبو الحسن 398– 458هـ – 1007– 1066م، إمام في اللغة وآدابها، ولد بمرسية (في شرق الأندلس)، وانتقل إلى دانية فتوفي بها، كان ضريرا، (وكذلك أبوه)، واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري، ونبغ في اللغة وآدابها، فصنف المخصص سبعة عشر جزءا، وهو أثمن كنوز العربية، والمحكم والمحيط الأعظم ". خير الدين الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة مايو 2002 4 / 263– مصطفى بن عبد الله ، الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والظنون الأعظم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 2/ 1616، 1617

[4]– ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لعلي بن إسماعيل بن سيده المتوفى 458هـ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، معهد المخطوطات بجامعة الدلو العربية، الطبعة الأولى 1377هـ ، 1958م 6: 110

5– أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي، نشأ بالفيوم، واشتهر، ومهر ، وتميز، وجمع في العربية عند أبي حيان، ثم رحل إلى حماة، فقطنها، وكان فاضلا عارفا باللغة والفقه، صنف المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة ". شيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفى 852 هـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة1/ 314، السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية1399هـ، 1979م 1/ 389

6– الفيومي، كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المتوفى770هـ، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1922م، الطبعة الخامسة 2/ 683

ثانيا: مفهوم التقارض اصطلاحا:

لم يظهر مصطلح التقارض عند أحد قبل الزمخشري بهذا المفهوم، وهذا لا يعني أن من جاء قبل الزمخشري لم يكن يدرك معنى التقارض، لكن يبدو أن اللغويين القدماء كانوا يهتمون بذكر الأمثلة والشواهد عن العرب، ولا يشغلهم البحث عن المصطلحات، لكن المعنى كان واضحا في أذهانهم، والدليل على ذلك ما ذكره سيبويه، وغيره ممن سبقوا الزمخشري من نصوص فيها تقارض، وإن لم ينصوا على مصطلح التقارض.

وقد تناول الزمخشري[1] معنى التقارض، في قوله:" واعلم أن إلا وغيرا يتقارضان ما لكل واحد منهما ".[2]

وعرف ابن يعيش[3] التقارض في قوله: " هو أن كل واحد منهما يستعير من الآخر حكمًا هو أخص به".4

وقيل: " التقارض هو أن تتبادل الكلمتان حكمًا خاصًا بهما؛ بمعنى أن تعطي كل منهما الأخرى حكمًا مساويًا لما أخذته منها". أو "هو أن يتبادل لفظان أهم صفاتهما أو عملهما، ويجري كل منهما مجرى الآخر" أو "هو أن يجري أحد اللفظين مجرى الآخر في إعماله أو إهماله والعكس صحيح"[5].

أما التقارض الاصطلاحي الذي نعنيه في مجال الدراسات النحوية فهو:

أن تُعطي كلمة حكما يختص بها إلى كلمة أخرى لتعامل معاملتها، كما تُعطي الكلمة الأخرى حكما يختص بها إلى الكلمة الأولى لتعامل معاملتها أيضا.

وبعبارة أخرى: الاقتراض النحوي هو تبادل الأحكام بين كلمتين بحيث تعطي كل كلمة الحكم الذي يختص بها إلى الكلمة الأخرى، سواء كانت هذه الكلمة اسما أم فعلا أم حرفا.[6]

1- محمود بن عمر بن محمد بن أحمد 467 – 538 هـ = 1075- 1144م الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم والدين، والتفسير، واللغة ، والأدب، ولد فيي زمخشر(من قرى خوارزم)، وسافر إلى مكة، فجاور بها زمنا؛ فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم)، فتوفي فيها, أشهر كتبه" الكشاف في تفسير القرآن، أساس البلاغة، والمفصل، وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره". خير الدين الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة مايو 2002 7/ 178

2- جار الله أبو القاسم محمود الملقب بالزمخشري، المفصل، الطبعة الحجرية ص 18،

3- موفق الدين أبو البقاء المشهور بابن يعيش، كان يعرف بابن الصانع، ولد في ثالث رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بحلب، وقرأ النحو على فتيان الحلبي، وأبي العباس البيزوري .. وكان من أئمة كبار العربية، ماهرا في النحو والتصريف، وكان حسن الفهم لطيفا، طويل الروح على المبتدي والمنتهي، ظريف الشمائل، وصنف: شرح المفصل، وشرح تصريف ابن جني، مات بحلب سحرا في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة. السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية1399هـ، 1979م 2/ 351، 352

4- ابن يعيش، شرح المفصل للشيخ العالم العلامة جامع الفوائد موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي المتوفى 643هـ، طبعة إدارة الطباعة المنيرية 2/ 88

5- أ. د. عبدالله أحمد جاد الكريم حسن، وسائل التوفيق بين القاعدة والتطبيق، ص3

http://www.alukah.net/literature_language/0/92182/#ixzz3qInFRr2y

6- أحمد محمد عبد الله، ظاهرة التقارض في النحو العربي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقيل: " التعاقب، والتقارض كلاهما بمعنى التخالف بين الألفاظ، والسلف في الأحكام، بيد أن الأول على – على كثرة استعماله – لم يكن يطلق إلى على ما وقع من ذلك في حروف الجر، ثم حروف النسق، والآخر – على قلة استعماله – كان أعم منه، وأدخل في أبواب النحو ".[1]

المبحث الثاني: التقارض بين أبنية الأفعال المزيدة

ذكر اللغوي المبدع ابن جني[2] سر لجوء العرب إلى هذه الظاهرة في قوله:" "وهذه عادة مألوفة، وسنة مسلوكة: إذا أعطوا شيئًا من شيء حكمًا قابلوا ذلك بأن يعطوا المأخوذ منه حكمًا من أحكام صاحبه، عمارةً لبينهما وتتميمًا للشبه الجامع لهما".[3]

فهو يرى أن هناك علاقة تشابه بين الصيغتين المتقارضتين؛ لذا لجأت إليه العرب في لغتهم؛ لأن هذه عادة عندهم، وسنة مسلوكة، وهذا الذي عالله ابن جني يدلنا على أثر الحياة العربية في لغة العرب، فواقع اللغة عندهم مأخوذ من حياتهم، فهم يعيشون مع بعضهم بعضا يتبادلون كثيرا من الأشياء، هذا يعطي هذا، وهذا يقرض هذا، وهذا يكفل هذا .. إلخ، وظهر ذلك جليا في استخدام ابن جني كلمة " صاحبه " في النص السابق.

وتحدَّث ابن هشام[4] في الباب الثامن من كتابه " مغني اللبين عن كتب الأعاريب " عن التقارض، ووضع عنوانا يبين أهمية هذه الظاهرة، وإبداع العرب فيها، فقال: " القاعدة الحادية عشرة: من مُلَحِ كلامهم تقارض اللفظين في الأحكام "[5]،ثم عرض عشر صور للتقارض، وهي تخص في أكثرها التقارض النحوي.

ويقول الشيخ الحملاوي في معاني صيغ الزوائد في بيان معاني " أفعل " المزيد بالهمزة:
أن يكون بمعنى " استفعل "، كأعظمته، أي: استعظمته.[6]

1- د/ طاهر عبد الحي محمد شبانة ، ظاهرة التقارض أبعاد صرفية وملامح دلالية، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، العدد الأربعون، المجلد الأول، 2007م ، ص 66

2- عثمان ابن جني الموصلي، أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل، وقيل: مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة وتوفي ببغداد عن نحو 65 عاما، وقيل: مات لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وكان أبوه مملوكا روميا، لسليمان ابن فهد الأزدي الموصلي، من تصانيفه: شرح ديوان المتنبي ، المبهج، والمحتسب، وسر الصناعة ، والخصائص، واللمع في النحو، والتصريف الملوكي، والمقتضب من كلام العرب، توفي 392هـ ، 1002م ". خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة مايو 2002 4/ 204 – السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية1399هـ، 1979م 2/ 132

3- ابن جني الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنِّي ت. 392هـ . تحقيق . محمد علي النَّجَّار . الهيئة العامَّة للكتاب . القاهرة . الطبعة الثالثة . 1406هـ . 1986م 1/ 69.

4- أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري المتوفى سنة 761 هـ

5- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، طبعة التراث العربي، السلسلة التراثية (21)6/ 719: 728

6- الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف لأحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، تقديم وتعليق د/ محمد بن عبد المعطي،

ويقول في موضع آخر في تقارض معنى " فاعل " :" وربما كان بمعنى " فعَّل " المضعف للتكثير، كضاعفت الشيء، وضعَّفته، وبمعنى " فعَل "، كدافع ودفع، وسافر وسفر ".[1]

ويقول في تقارض معنى " فَعَّل ": " يكثر استعمالها في ثمانية معانٍ، تشارك " أفعل " في اثنين منها، وهما: التعدية، كقوَّمت زيدا وقعّدته، والإزالة، كجرَّبت البعير، وقشَّرت الفاكهة، أي: أزلت جرَبه، وأزلت قشره ".2

وتحدّث الحملاوي في موضع آخر عن مجيء وزن " افتعل " مطاوعا للمضعف ومهموز الثلاثي:" وربما أتى مطاوعا للمضعف ومهموز الثلاثي، كقرّبته فاقترب، وأنصفته فانتصف ".[3]

وتحدث أيضا عن مطاوعة وزن " تفعّل " وزن " فعّل "، فقال:" مطاوعة " فعَّل " مضعف العين، كنبّهته فتنبّه، وكسّرته فتكسّر".[4]

وأشار إلى مطاوعة وزن " تفاعل " وزن " فاعل "، فقال:" مطاوعة فاعل، كباعدته فتباعد ".[5]

وبيّن كذلك التقارض بين صيغة " استفعل " و " أفعل " في قوله:" وربما كان[6] بمعنى "أفعل"، كأجاب، واستجاب، ولمطاوعته كأحكمته فاستحكم، وأقمته فاستقام ".[7]

ويقول دكتور عبده الراجحي في استعمال " استفعل " بمعنى " فعل، وأفعل:" وقد يأتي هذا الوزن بمعنى وزن الثلاثي، مثل: قر في المكان واستقر، أنس واستأنس، هزأ به واستهزأ ، ويئس واستيأس.

وقد يأتي بمعنى " أفعل، مثل أجاب واستجاب، أيقن واستيقن "[8].

يأتي أحد أبنية مزيد الثلاثي موافقا بناء آخر، أو مطاوعا مجردا، كما في الأبنية الآتية:

أولا: بناء أفعل: المزيد بحرفف، وهو الهمزة في أول الفعل[9]:

1- استغنوا عن المجرد كأقسم، وأفلح.
2- مطاوعة المجرد، كصرمتها فأصرمت، ومخضته فأمخض.
3- موافقة الثلاثي، كأوعى؛ أي وعى، وأنمل؛ أي نمل.

طبعة دار الكيان ص 78، والحملاوي: أحمد بن محمد، مدرس مصري، له نظم تخرج بدار العلوم، ثم بالأزهر، وزاول المحاماة الشرعية مدة، وعمل بالتدريس إلى سنة 1928م، ووضع كتبا مدرسة، منها شذا العرف في فن الصرف، وزهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، ومورد الصفا في سيرة المصطفى، وديوان أكثره مدائح نبوية ". خير الدين الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة مايو 2002 1/ 251

[1]- الحملاوي ص 79

[2]- السابق ص 79

[3]- الحملاوي شذا العرف في فن الصرف ص 81

[4]- الحملاوي ص 82

[5]- السابق ص 83

[6]- يعني صيغة " استفعل ".

[7]- الحملاوي ص 84

[8]- د/ عبده الرجحي التطبيق الصرفي ، طبعة دار النضة العربية، بيروت، لبنان ص 40

[9]- شيخاوي حميد، الأبنية الصرفية ودلالاتها في سورة الكهف ص 47 ، رسالة ماجستير للباحث شيخاوي حميد، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقائد – تلمسان ، وزارةالتعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2012 – 2013م

ومن الذين تناولوا ظاهرة التقارض الدكتور محمود فهمي حجازي؛ حيث أشار إلى ذلك في قوله: " أقر المجمع قياسية أوزان المطاوعة على النحو التالي:

- الفعل الثلاثي مطاوعة " افتعل "، إذا كانت فاء الفعل (ل/ م / ن)، مثل: (نصف: انتصف).
- الفعل الثلاثي مطاوعة " انفعل "، إذا كانت فاء الفعل أي حرف آخر، مثل: (جذب: انجذب).
- وزن (فعَّل) مطاوعة (تفعّل): (قرب : تقرّ).
- وزن (فاعل) مطاوعة (تفاعل): (صارع: تصارع).
- وزن (فعلل) مطاوعة (تفعلل): (دحرج : تدحرج).

ثم بيّن حجازي سبب اهتمام المجمع بأوزان المطاوعة في قوله: " ويرجع اهتمام المجمع بأوزان المطاوعة إلى أنها شاعت في الاستخدام العربي منذ قرون، بدلا من صيغ المبني للمجهول التي قل استخدامها في الفصحى بعد أن انتهى من اللهجات، وفي كل هذه القرارات الخاصة بالاشتقاق كان مجمع اللغة العربية يعتمد على بحث الاستخدام اللغوي القديم، ويضع القاعدة تسجيلا للعرف القديم، وانطلاقا منه تيسيرا للاستخدام الحديث ".1

المبحث الثالث: التقارض بين أبنية المشتقات

يحدث تقارض بين المشتقات من خلال مجيء بعض المشتقات مرادا بها بعضها الآخر.

يقول المبرد[2]: " وأما " هلكى فإنما جاء على مثال فعيل الذي معناه معنى المفعول؛ لأن جمع ذلك يكون على فعْلى، نحو: جريح وجرحى، وصريع وصرعى، وكذلك جميع هذا الباب، فلما كان " هالك " إنما هو بلاء أصابه كان في مثل هذا المعنى، فجمع على" فعْلى " ؛ لأن معناه معنى " فعيل " الذي هو مفعول، وعلى هذا قالوا: مريض ومرضى؛ لأنه شيء أصابه، وأنت لا تقول: مُرِضَ، ولا مَرْوض.

فأما قولهم: شاعر وشُعَراء، فإنما جاء على المعنى؛ لأنه بمنزلة " فَعيل " الذي هو في معنى الفاعل؛ نحو: كريم وكرماء، وظريف وظرفاء، وإنما يقال ذلك لمن قد استكمل الظرف، وعُرف به 3."

---

[1]- مدخل إلى علم اللغة د/ محمود فهمي حجازي دار قباء للتوزيع والنشر والتوزيع ص 104، 105

[2]- محمد بن يويد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المعروف بالمبرد ولد سنة 210هـ، 826م، وتوفي 286هـ، 899م ، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأجد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد، من كتبه: الكامل، والمذكر والمؤنث، والمقتضب. خير الدين الزركلي الأعلام 7/ 114

[3]- المبرد المقتضب2/ 217، 218

ويقول المرادي[1]: " فعيل بمعنى مفعول، نحو: " قتيل وجريح "، فتقول: رأيت رجلا قتيلا، وامرأة قتيلا ".[2]

1- فَعولة: مثل: ركوبة، حلوبة.

فإذا قلنا: هذه ركوبة، وتلك محلوبة، فالمعنى: هذه مركوبة، وتلك محلوبة.

2- فِعْل: مثل: نِسْي، حِبّ.

ويتضح المعنى إذا قلنا: هذا نِسْي، وذلك حِبّ، والمعنى: هذا منسي، وذلك محبوب.

ومن ذلك قول الحملاوي:" وقد يأتي "فاعل" مرادا به اسم المفعول قليلا، كقوله تعالى: ﱡ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﱠ [3] ، أي مرضية، وكقول الشاعر[4]:

دَعِ الْمَكارِمَ لا تَرْحلْ لِبُغْيَتِها   وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكاسِي

أي: المطعوم المكسيّ.

وقد يأتي فعيل مرادا به فاعل، كقدير بمعنى قادر، وكذا فعول بفتح الفاء، كغفور بمعنى غافر.[5]

يأتي بناء " فعيل " بمعنى " فاعل "، أو " مفاعل بشرط أن يكون غير مضعف، وغير معتل اللام، وصفا لمذكر عاقل، مثل: كريم، وجليس، وظريف، ونديم، فإذا قلنا: أنت جليس في بيتنا، فالمعنى: أنت جالس في بيتنا، وهكذا.

وهناك أيضا عدة أبنية تستعمل بمعنى اسم المفعول، أشهرها6:

1- فعيل: مثل: جريح ، قتيل، ذبيح، طحين.

فنحن عندما نقول: فلان جريح، وفلان قتيل، فالمعتى: فلان مجروح، وفلان مقتول.

بقول الدكتور السامرائي:" وقال النحويون: إن " فاعلا " قد يجيء بمعنى " مفعول "، نحو: ماء دافق، أي: ماء مدفوق،

1- بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المولد النحوي اللغوي الفقيه المالكي البارع، يرجع نسبه إلى قبيلة مراد، وهي قبيلة كان موطنها في القرن السابع الهجري في أسفى على ساحل الأطلنطي بالمغرب، اشتهر المرادي بابن أم قاسم، وهي جدته لأبيه، واسمها زهراء، وكانت أول ما جاء من المغرب إلى مصر، عُرفت بالشيخة؛ ولذلك كانت شهرته تابعة لها، كنيته أبو محمد، ولقبه بدر الدين، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة ". شذرات الذهب 6/ 160 ، بغية الوعاة 1/ 517، كشف الظنون 1/ 406، 607، 648 ، الأعلام 2/ 211 ، الدرر الكامنة 2/ 116، 117

2- المرادي توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي المعروف بابن أم قاسم المتوفى 749هـ، شرح وتحقيق أ. د. عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1422هـ، 2002م 5/ 1355

3- الحاقة: 21

4- البيت للحطيئة، وهو في ديوانه ص 23 من بحر البسيط، من قصيدة هجا فيها الزبرقان بن بدر، ديوان الحطيئة، أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك برواية وشرح ابن السكيت 186- 246هـ ، دراسة وتبويب د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ ، 1993م

5- الحملاوي شذا العرف ص 122

6- د/ عبده الراجحي، في التطبيق النحوي والصرفي، ، طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1992م

وعيشة راضية، أي مرضية، قيل:" والأولى أن يكون على النسب كنابل وناشب ".[1]

ثم يعلق السامرائي ملخصا رأيه في ظاهرة التقارض:" والذي يبدو أن ما عدل عن صيغة مفعول إلى صيغة أخرى يفيد المبالغة عموما؛ وذلك لأن النقل يفيد المبالغة في الغالب ".[2]

ويقول في موضع آخر مبينا التقارض بين صيغة فعيل ومفعول:" قد يوتى بفعيل بمعنى " مفعول "، كجريح وقتيل، فيستوي فيه المذكر والمؤنث، فيقال: هو جريح، وهي جريح، وهو أسير، وهي أسير ".[3]

وبين السامرائي دلالة مجيء " فعيل " بمعنى " مفعول " في قوله: " وأما " فعيل " بمعنى " مفعول " فيدل على أن الوصف قد وقع على صاحبه؛ بحيث أصبح سجية له أو كالسجية، ثابتا أو كالثابت، فتقول: (هو محمود) و (هو حميد "، ف (حميد) أبلغ من (محمود)؛ لأن حميدا يدل على أن صفة الحمد له ثابتة ".[4]

ثم تناول السامرائي التقارض بين الصيغ في باب اسم المفعول من خلال ذكره صيغا أخرى للدلالة على اسم المفعول، يقول: " وردت في اللغة صيغ تدل على مفعول أشهرها:"

1- فِعْل بكسر الفاء، وسكون العين: كطِحن، بمعنى مطحون.

2- فَعَل بفتح الفاء والعين، كالقنص والسلب والكرع، فالسلب بمعنى المسلوب، والنقض بمعنى المنقوض، والكرع الماء الذي يكرع فيه.

وغير ذلك كثير، ويدل على أن الصيغ يمكنها أن تتقارض مع بعضها.[5]

ثم بين السامرائي الأثر المترتب على التقارض بين صيغة مفعول إلى صيغة أخرى، فقال:" والذي يبدو أن ما عدل عن صيغة مفعول إلى صيغة أخرى يفيد المبالغة عموما؛ وذلك لأن النقل يفيد المبالغة في الغالب ". 6

المبحث الرابع

التقارض بين أبنية جمع التكسير

قسم علماء الصرف جمع التكسير قسمين [7]:

الأول: جمع قلة.

الثاني: جمع كثرة.

يقول الأشموني:"واعلم أن جمع التكسير على نوعين: جمع قلة وجمع كثرة"8.

1- د/ فاضل صالح السامرائي ،معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع ، الأردن، الطبعة الثانية 1428 هـ ، 2007م، ص 51

2- السابق ص 64

3- السابق ص 53

4- السابق 53

5- د/ فاضل صالح السامرائي ،معاني الأبنية في العربية 58: 62

6- السابق 64

7- محمد عزيز عبد المقصود، بنية جموع التكسير في شعر شعراء المعلقات دراسة وصفية تحليلية رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم 2005م ص3،4

8 - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي المتوفى 1206هـ. حاشية الصبان على شرح الأشموني 170/4، تحقيق طه عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية، الحسين، القاهرة.

ولجمع القلة أربعة أبنية هي: فِعْلة، وأفْعِلَة، وأفْعُل، وأفْعال، وقد جمعها ابن مالك في قوله1:

أَفْعِلَةٌ أَفْعُل ثُمَّ فِعْلَه ثُمَّتَ أفْعالٌ جُمُوعُ قِلَّه

"وما عدا هذه الأربعة من جموع التكسير فجموع كثرة"2.

وأما جمع الكثرة فعدّ له الصرفيون ثلاثة وعشرين بناءً منها: فُعْل, وفِعال, وفُعُول, وفواعِل..إلخ"3.

ومدلول جمع القلة بطريق الحقيقة ثلاثة إلى عشرة, ومدلول جمع الكثرة بطريق الحقيقة ما فوق العشرة إلى ما لا نهاية4. وهذا ما ذهب إليه سيبويه5.

وهذا أحد قولين والقول الثاني أن جمع الكثرة يدل على الثلاثة إلى ما لا نهاية, وعلى هذا يكون جمع القلة والكثرة متفقين في المبدأ؛ ولكنهما مختلفان في النهاية, ويكون الذي ينوب عن الآخر جمع القلة؛ إذ ينوب عن جمع الكثرة في الدلالة على أحد عشر فصاعدًا, أما جمع الكثرة فدلالته حينئذٍ على الثلاثة إلى العشرة ليست بالنيابة عن جمع القلة, ولكن بالأصالة, ودلالته هذه حقيقة لا مجاز"6. وهذا ما ذهب إليه سيبويه7.

وأشار سيبويه[8] في كتابه إلى ظاهرة التقارض بين جمعي التكسير في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله: " واعلم أن

1- قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري المولود في سنة 698 والمتوفى في سنة 769هـ، شرح ابن عقيل 415/2

2 - السابق 415/2

3- أبو بكر محمد بن سهل بن السّراج ت.313هـ الأصول 430/2, تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي, الطبعة الثالثة, مؤسسة الرسالة, بيروت،سنة 1417هـ , 1996م.، وأبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري ت. 761هـ , أوضح المسالك 307/4 تحقيق , محمد محيي الدين عبد الحميد , المكتبة العصرية , صيدا,= = بيروت , "بدون تاريخ". . و الشيخ خالد الأزهري، شرح التصريح 2/ 300, دار الفكر , القاهرة , بدون تاريخ. . وحاشية الصبان على شرح الأشموني 170/4 وما بعدها.

4 حاشية الصبان على شرح الأشموني 170/4

5 الدكتورة خديجة الحديثي أبنية الصرف في كتاب سيبويه، طبعة مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، سنة 1385هـ ، 1965م، ص 294.

6 بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ت. 769هـ، شرح ابن عقيل 415/2 حاشية2, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد , طبعة المكتبة العصرية , صيدا , بيروت سنة 1418هـ , 1997م.

7 الدكتورة خديجة الحديثي أبنية الصرف في كتاب سيبويه 294

8- " أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبر، الملقب بسيبويه، مولى بني الحارث بن كعب، وقبل: آل الربيع بن زياد الحارثي، كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، وذكره الجاحظ يوما، فقال: لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله، وجميع كتب الناي عليه عيال .. وأخذ النحو عن الخليل بن أحمد، وعن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب، وغيرهم، وأخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره.. وسيبويه لقب فارسي معناه بالعربية رائحة

لأدنى العدد أبنية هي مختصة به، وهي له في الأصل، وربما شركه فيه الأكثر، كما أن الأدنى ربما شرك الأكثر ".[1]

ويقول سيبويه في باب تكسير الواحد للجمع:" أما ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف، وكان (فَعْلا) فإنك إذا ثلّثته إلى أن تعشره فإن تكسيره (أفْعُل)؛ وذلك قولك: كلْب وأكلُب، وكعْب وأكْعب، وفرْخ وأفرخ، ونسر وأنْسُر. فإذا جاوز العدد هذا فإن البناء قد يجيء على (فِعال)، وعلى (فُعُول)؛ وذلك قولك: كِلاب، و كِباش .. وربما كانت فيه اللغتان، فقالوا: فُعول وفِعال؛ وذلك قولهم: فُروخ وفِراخ، وكُعوب وكِعاب، وفُحُول وفِحال ".[2]

ويقول في موضع آخر:" وربما جاء (فعيلا)، وهو قليل، نحو: الكليب والعبيد، والمضاعف يجري هذا المجرى؛ وذلك قولك: ضَبّ وأضُبّ وضِباب، كما قلت: كَلْب وأكْلب وكِلاب، وصَكٌّ وأصكّ وصِكاك وصُكوك، كما قالوا: فَرْخ وأفرخ وفراخ وفروخ ".[3]

وأشار سيبويه إلى التقارض بين " أفعال " و " أفعُل " في قوله:" واعلم أنه قد يجيء في فَعْل " أفْعال " مكان " أفعُل "، قال الشاعر الأعشى:

وُجِدتُ إذا اصْطلحوا خيرهم وزندك أثْقَبُ أزْنادها

والشاهد في البيت: جمع " زند " على " أزناد "، وهو جمع شاذ؛ لأن الأسماء الثلاثية الصحيحة العين الساكنة إنما تُجمع جمع القلة على " أفعل " .[4]

وأشار في موضع آخر إلى التقارض بين صيغ جمع التكسير، فقال:" وقد بنى على (فِعال)، قالوا: أرْجُلٌ، ورِجالٌ، وسَبعٌ وسِباعٌ، جاءوا به على فِعال، كما جاءوا بالضِّلع على فُعول، وفِعال وفُعول أختان، وجعلوا أمثلته على بناء لم يكسَّر عليه واحده؛ وذلك قولهم: ثلاثةُ رَجلَةٍ، واستغنوا بها عن أرجال ".[5]

وفي تعبير سيبويه " وفِعال وفُعول أختان " دلالة على أن التقارض بين الصيغ لم يأت عبثا، ولم تلجأ إليه العرب دون إرادة معنى، فهو ترجمة حقيقية لواقعٍ عاشه العرب، بني على أساس العلاقة الوطيدة القوية القائمة على أهمية التعامل مع الآخرين، والتبادل فيما بينهم، فكان كل منهم يحتاج الآخر يعطيه مما عنده، ويأخذ منه ما يريده؛ فأثر ذلك في لغتهم المكتوبة.

وبقول المبرد:" واعلم أن فَعالا، وفِعالا، وفُعولا، وفَعِيلا، وفَعولا ترجع في الجمع في أدنى العدد إلى شيء واحد؛ لأنها مستوية في أنها من الثلاثة، وأن ثالثها حرف لين، ألا ترى أنك تقول: قّذال وأقذلة، وغَزال، وأغزلة، وتقول: غِزلان، كما تقول في غراب: غِربان، وتقول: قُذُل، كما تقول جُرُب، وكُثُب، وتقول في عمود: أعمدة، وعُمُد، وفي رسول: رُسُل، فمجرى هذا كله واحد، فإن تُرك منه شيء ما فللاستغناء عنه بغيره".[6]

ويقول ابن جني:" وكان أبو علي ينكر الحكاية المروية عن النايغة، وقد عرض عليه حسان شعره، وأنه لما صار إلى قوله[7]:

التفاح ، وقيل سمي سيبويه؛ لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال، رحمه الله تعالى". أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608 – 681 هـ)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه دكتور/ إحسان عباس ، طبعة دار صادر، بيروت 3/ 463: 465

[1]- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب ،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 3/ 490

[2]- سيبويه 3/ 567

[3]- سيبويه 3/ 567

[4]- سيبويه 3/ 568 حاشية 2

5- السابق3/ 573

[6]- المبرد المقتضب 2/ 210، 211

7- البيت من الطويل لحسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، من كلمة له مطلعها:

لنَا الجَفَناتُ الغُرُّ يلْمعْن بالضُّحا وأَسْيافُنا يَقْطُرنَ مِنْ نَجْدَة دَمًا

قال له النابغة: لقد قللت جفانك وسيوفك.[1]

قال أبو علي[2]: هذا خبر مجهول لا أصل له؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ صد صخ صم ضج ضح ﴾ [3]

ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر.

ألم تسأل الربع الجديد التكلما بمدفع أشداخ فبرقة أظلما

وبعده:

ولَدنا بني العَنْقاء وابني محرِّقٍ فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

وروي في القصة التي كانت بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى 356هـ، 976م، كتاب الأغاني ، تحقيق د. إحسان عباس، ود. إبراهيم السعافين، أ. بكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 1429هـ، 2008م – ابن يعيش، شرح المفصل 5/ 10 – عبد القادر بن عمر البغدادي 1030، 1093 خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الرابعة 1420هـ ، 2000م 8/ 106

1– قال النابغة لحسان: إنك لشاعر لو لا أنك قلّلت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك، وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت: " الجفنات "، فقللت العدد، ولو قلت " الجفان " لكان أكثر، وقلت: " يلمعن في الضحى "، ولو قلت: " يبرقن بالدجى " لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقا، وقلت:" يقطرن من نجدة دما "، فدللت على قلة القتل، ولو قلت:" يجرين " لكان أكثر ؛ لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسرا منقطعا ".، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، الأغاني 9/ 252

2– يعني : أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي، فإنه كان من أكبر أئمة النحويين، أخذ عن أبي بكر بن السراج، وأبي إسحاق الزجاج، وعلت منزلته في النحو ..، وأخذ عنه جماعة من حذاق النحويين كأبي الفتح بن جني، وعلي بن عيسى الربعي.. وصنف كتبا حسنة لم يسبق إلى مثلها، منها كتاب الإيضاح في النحو، وكتاب الحجة في علل القراءات السبع، وكتاب المقصور والممدود إلى غير ذلك من الكتب.. وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة". أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري المتوفى سنة 577هـ ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق د/ إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الثالثة 1405هـ ، 1985م ص 232، 233

3– سيأ: ٣٧

وعذر ذلك عندي أنه قد كثُر عنهم وقوع الواحد على معنى الجميع جنسا، كقولنا: أهلك الناسَ الدينارُ والدرهمُ، وذهب الناسُ بالشاة والبعير، فلما كثر ذلك جاءوا في موضعه بلفظ الجمع الذي هو أدنى إلى الواحد أيضا، أعني الجمع بالواو والنون والألف والتاء، نعم وعلم أيضا أنه إذا جيء في هذا الموضع بلفظ جمع الكثرة، لا يتدارك معنى الجنسية، فلهوا عنه، وأقاموا على لفظ الواحد تارة، ولفظ الجمع المقارِب للواحد تارة أخرى؛ إراحة لأنفسهم من طلب ما لا يُدرك، ويأسا منه، وتوقفا دونه، فيكون هذا كقوله:

رأى الأمر يُفضي إلى آخر فصير آخرَه أولا

ومثل الجمع بالواو والنون والألف والتاء مجيئهم في هذا الموضع بتكسير القلة، كقوله تعالى: ﴿ خج خم سج سح ﴾ [1]

وقول حسان:

وَأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدةٍ دمًا

ولم بقل: عينهم ولا سيوفنا".[2]

ويقول ابن يعيش:" العرب قد تسعمل اللفظ الموضوع للقليل في موضع الكثير، من ذلك قوله تعالى: ﴿ صح صخ صم ضج ﴾ [3] ، وقال: ﴿ يز يم ﴾ [4]، ولا يعد الكريم سبحانه بأن في الجنة غرفات يسيرة، وكذلك ليس المراد بقوله: ﴿ يز يم ﴾ العشرة فما دونها، وإنما الإخبار عن هذا الجنس قليله وكثيره؛ وذلك أن الجموع قد يقع بعضها موضع بعض، ويستغنى ببعضها عن بعض، ألا ترى أنهم قالوا: رسن وأرسان، وقلم وأقلام، واستغنوا بهذا الجمع عن جمع الكثرة، وقالوا رجل ورجال، وسبع وسباع، ولم يأتوا لهما ببناء قلة، وأقيس ذلك أن يستغى بجمع الكثرى عن القلة؛ لأن القليل داخل في الكثير".5

ويقول الزركشي:" وأما جمع غير العاقل ففيه تفصيل: إن كان للكثرة أتيت بضميره مفردا، فقلت: الجذوع انكسرت، وإن كان للقلة أتيت جمعا.

وقد اجتمعا في قوله: ﴿ يى يج يح يخ يم يه ﴾ إلى أن قال: ﴿ تخ تم ته ﴾ [7] ، فالضمير في " منها " يعود إلى " الاثني عشر "، وهو جمع كثرة، ولم يقل: " منهن "، ثم قال سبحانه: ﴿ حم خج خم سج سحسخ ﴾ [8]، فهذا عائد إلى الأربعة، وهو جمع قلة "9.

ثم يعلق الزركشي على الكلام السابق، فيقول:" فإن قيل:فما السر في هذا؛ حيث كان بؤتى مع الكثرة بضمير المفرد، ومع القلة بضمير الجمع؟ وهلا عكس؟

ثم أجاب عن سؤاله من خلال نص للفراء؛ حيث قال:" قلنا: ذكر الفراء له سرا لطيفا، فقال: لما كان المميز مع جمع الكثرة واحدا، وحد الضمير؛ لأنه من أحد عشر يصير مميزه واحدا، وهو أنذرهم، وأما جمع القلة فمميزه جمع؛ لأنك تقول: ثلاثة دراهم، أربعة دراهم، وهكذا، إلى العشرة تمييزه جمع؛ فلهذا أعاد الضمير باعتبار المميز جمعا وإفرادا ".10

ويقول عباس حسن:" إن العرب قد يستعملون صيغة شائعة في أحد نوعي التكسير مكان صيغة وضعوها للنوع الآخر، وشاعت فيه، فكلتا الصيغتين موجودة فعلا، وتشيع في أحدهما وحده، ولكنهم يستعملونها في معنى الآخر، بقرينة في

---

[1]- التوبة : ٩٢

[2]- ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، د/ عبد الحليم النجار، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة 1415هـ ، 1994م 1/ 186، 187

3- سبأ: ٣٧

4- الأحزاب: ٣٥

5- ابن بعيش 5/ 11

6- التوبة: جزء من الآية 36

7- التوبة: جزء من الآية 36

8- التوبة: جزء من الآية 36

9- الزركشي 4/ 23، 24

10- الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة 4: 23

الكلام خارجة عن الصيغة، وعن وزنها تدل على هذا النقل والتبادل، وبغير القرينة لا يصح الحكم على الصيغة بأنها مستعملة في غير نوعها".1

ويقول في موضع آخر:" وقد كثر هذا النقل والتبادل في بعض الصيغ، كصيغة " أفعال " التي للقلة؛ فقد أشاعوها في المعنيين، وإن كانت للقلة أوفر شيوعا، ومن الجائز لنا في كل وقت أن نستعملها في المعنيين مثلهم، فيكون الاستعمال حقيقيا لا مجازيا؛ بسبب شيوعه عنده، أما غير الشائع عندهم فتستعمله مجازا؛ لأن استعمال القليل في موضع الكثير، أو العكس جائز بلاغة.. غير أن العرب إذا استعملت صيغة الكثرة في القلة، أو العكس، وكان هذا الاستعمال كثيرا شائعا فإنه يكون من قبيل الاستعمال الحقيقي لا المجازي، ويكون استعمالنا إياه حقيقيا كذلك، كاستعمالهم صيغة " أفعال " في الكثرة، فهو حقيقي لنا أيضا، بخلاف استعمال " فعل " – مثلا – في القلة فإنه مجازي ".[2]

تناولها الدكتور/ تمام حسان نظرة التقارض من خلال تعدد المعنى الوظيفي، ونقل اللفظ من قسم إلى آخر من أقسام الكلم، وعندئذ يتعرض معناه للتغيير، وهكذا يصبح تغير المعنى سِمة مشتركة للنوعين كليهما، وقد أطلق عليخ مفهوم الاقتصاد اللغوي.3

وأشار الدكتور/ فاضل السامرائي إلى السبب في العدول عن استعمال القلة مكان الكثرة ، والكثرة مكان القلة في قوله: " هذا هو الأصل في استعمال القلة والكثرة، وقد يعدل عن ذلك؛ لضرب من البلاغة، فقد تعطى القلة وزن الكثرة، والكثرة وزن القلة؛ لغرض ما، أو قد يُخَصّ كل من الوزنين بمعنى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ بن بى بي تر **تز تم** تن تى تي **ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى كا كل كم كى كي لم لى لي** ﴾ [4]

وقوله: ﴿ **ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم** ﴾ [5]

فأنت ترى أن العدد واحد هو (سبع)، ولكنه استعمل معه جمع الكثرة مرة، والقلة مرة أخرى، والسبب في ذلك أن الآية الأولى سيقت في مقام التكثير، والمضاعفة؛ فجيء بها على (سنابل)؛ لبيان التكثير، وأما قوله: (سبع سنبلات)، فجاء بها على لفظ القلة؛ لأن السبعة قليلة، ولا مقتضى للتكثير ".6

وذكر في موضع آخر سببا من أسباب استعمال القلة والكثرة، فقال:" وقد يؤتى بأوزان القلة والكثرة للمغايرة بين معنيين وضعا، أو تخصيصا، لا للدلالة عل القلة والكثرة، كالأخوال والخيلان جمع الخال، والأربعة والأربعاء جمع الربيع، والأنفس والنفوس، فإن العرب خصوا التوكيد المعنوي بلفظ الأنفس والأعين، ولم يستعملوا له النفوس، ولا العيون، فنقول: (جاء الزيدون أنفسهم)، لا نفوسهم، وإن زادوا عل العشرة، وكالأعين والعيون جمع العين، فقد خص الله تعالى (الأعين) بالباصرة، و (العيون) بعيون الماء ".[7]

وتناولت الدكتورة/ وسمية عبد المحسن في بحث لها قضية التقارض بين أبنية جمعي التكسير، فذكرت أن من أكثر قضايا التعدد في الجموع إشكالا قضية تقسيم الصِّيغ إلى كثرة

1- عباس حسن، النحو الوافي 4/ 634 , الطبعة التاسعة, دار المعارف, الجزء الرابع،

2- السابق 4/ 630، 631 حاشية 2

3- تمام حسان ، اجتهادات لغوية ص 161، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى 1428هـ ، 2007م

4- البقرة: 261

5- يوسف : 43

6- دكتور فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية ص 121

7- د/ فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية 122، 123

وقلة. ولم تحدد القيمة النسبية للدلالة العددية، فالقلة عندهم من ثلاثة إلى عشرة، والكثرة عندهم ما فوق العشرة، وهذا يثير غموضًا ولبسًا في الصِّيغة، فالثلاثة بالنسبة للأربعة كثرة، وهي أي الثلاثة بالنسبة للمئة قلة، لذا كان القصور في التقسيم السابق يجبره الاستخدام السياقي للصيغة. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[1] ، خرجت صيغة (فُعول) من الكثرة إلى القلة، وفي قوله تعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ ﴾[2]، خرجت صيغة (أفْعُل) من القلة إلى الكثرة. ولم تفت القدماء مثل تلك الظواهر؛ إذ حاولوا تسويغها إمَّا بدخول صيغة على صيغة، وإمَّا بخروج الصِّيغة من دلالة القلة بتعريفها أو إضافتها. ، وواضح من تفسير اللغويّين لهذه الظاهرة أنهم متسامحون في معيارية تقسيم القلة والكثرة.[3]

وتقول في موضع آخر:" تتداخل جموع القلة في الكثرة، وتتداخل جموع الكثرة في القلة ".[4]

الخلاصة

لم يأت التقارض بين الصيغ عبثا دون إرادة، أو قدرا دون معنى، لكن اللغويين عندما أرادوا ان يصوغوا قواعدهم بنوها على ما جاء عن العرب أنفسهم، فاللغة سابقة تقعيدها، وما كانت هذه القواعد إلا واقعا عاشه العرب، وتفاعلوا معه، فأنتجوا لغتهم، لغة التفاهم والمعايشة، فاللغة هي وعاء الشعوب، هي حياته ، وروحه، وحضارته، وفكره، فلما أرادوا أن يقعدوا قواعدهم نظروا في لغتهم، فنقلوا منها شواهدهم، وزينوها بألفاظهم وشمائلهم، فكانت لغتهم لغة حية تنبض بمشاعرهم، فكأن أبنية اللغة وصيغها أفرادا بتعايشون مع بعضهم بعضا، ويتعاونون، ويتبادلون، ويتقارضون، ويتداخلون، ويتضافرون، وينوب بعضهم عن بعض، ويستغني بعضهم ببعض.

وقد رأينا من قبل كيف عبر سيبويه وابن جني، ومن بعدهما السامرائي عند حديثهم عن التقارض بألفاظ تدل على شخصنة اللغة.

يقول سيبويه: مشبرا إلى التقارض بين صيغ جمع التكسير:" وفِعال وفُعول أختان، ".[5]

لقد عبر سيبويه بلفظ دقيق جعل من التقارض أسرة صغيرة مكونة من أختين، تلكم العلاقة الأسرية الحميدة التي ترسم طريق الحياة والسعادة لهاتين الأختين، وفي التعبير بصيغة التأنيث دلالة على شدة العلاقة وتداخلها، وتقارضها بيد أن المرأة بطبيعتها أقوى إحساسا من الرجل، فالعلاقة بين " فِعال " و " فُعُول " هي علاقة وطيدة ترتقي في قوتها مثل علاقة الأختين، فما أجمل تعبير سيبويه!

وبين كذلك تلك العلاقة في نص آخر؛ حيث يقول: " واعلم أن لأدنى العدد أبنية هي مختصة به، وهي له في الأصل، وربما شركه فيه الأكثر، كما أن الأدنى ربما شرك الأكثر ".[6]

1- البقرة 228

2- الأعراف 195

3- وسمية عبد المحسن المنصور ، ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفيّة ص 29 نشر في: (مجلة الدراسات اللغوية – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) 2002م. ونشر مرة ثانية في إصدارات مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية 2005م.الإصدارة الأولى الملحقة بالعدد 54 / العام 2005 م، وأعيد نشره في: إصدارات مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية 2005م.

4- د. وسمية عبد المحسن المنصور صيغ الجموع في القرآن الكريم 2/ 90، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1425هـ ، 2004م

5- سيبويه 3/ 573

6- سيبويه 3/ 490

فلفظ " شرك " يدل على أن هناك علاقة شراكة بين اثنين، كل منهما يعطي الآخر، ويأخذ منه.

ويقول ابن جني:" "وهذه عادة مألوفة، وسنة مسلوكة: إذا أعطوا شيئًا من شيء حكمًا قابلوا ذلك بأن يعطوا المأخوذ منه حكمًا من أحكام صاحبه، عمارةً لبينهما وتتميمًا للشبه الجامع لهما ".[1]

فكلمات ابن جني " عادة مألوفة وسنة مسلوكة " و " صاحبه "، و " عمار ة "، و" الشبه "كل هذا يدل على أن ألفاظ اللغة أصحاب بينهم حياة، ومعايشة، ولهم عادات وسنن في حياتهم التي يعمرونها بالخير، علاقات الشبه فيما بينهم.

وفي حديث السامرائي عن دلالة مجيء " فعيل " بمعنى " مفعول " في قوله: " وأما " فعيل " بمعنى " مفعول " فيدل على أن الوصف قد وقع على صاحبه؛ بحيث أصبح سجية له أو كالسجية، ثابتا أو كالثابت، فتقول: (هو محمود) و (هو حميد "، ف (حميد) أبلغ من (محمود)؛ لأن حميدا يدل على أن صفة الحمد له ثابتة ".[2]

فقوله: " فيدل على أن الوصف قد وقع على صاحبه " فنجد كلمة " صاحبه " قد دلت على تلك العلاقة التي نشأت بين " فعيل "، و " مفعول "، فكأنهما صديقان بينهما علاقة قوية.

وثمة ملمح آخر وهو أن اللغويين القدامى تناولوا ظاهرة التقارض في كتبهم، وإن كانوا لم ينصوا صراحة على مصطلح " التقارض "، فهم ينظرون إلى الأبنية واستخداماتها من خلال تعدد معانيها في سياقاتها المختلفة، فقد تدل الكلمة على معنى في سياق، ويختلف معناها في سياق آخر، وقد يكون للكلمة مدلول في لهجة، ويختلف مدلولها في لهجة أخرى، ومن ثَمّ جاءت دراساتهم وصفا لما نطقت به العرب، مراعين في استعمال الأبنية معانيها.

ولما كانت لغة العرب واقعا عاشه أهله، فعند الاستشهاد بنثرهم نجدهم قد نقلوا إليه ألفاظا يستخدمونها في تعاملاتهم، وقد ظهر ذلك جليا في النصوص السابق عرضها، نحو قول سيبويه:" وربما جاء (فعيلا)، وهو قليل، نحو: الكليب والعبيد، والمضاعف يجري هذا المجرى؛ وذلك قولك: ضَبّ وأضُبّ وضِباب، كما قلت: كَلْب وأكْلب وكِلاب، وصَكٌّ وأصكّ وصِكاك وصُكوك، كما قالوا: فَرْخ وأفرخ وفراخ وفروخ ".[3]

ولا يخفى أن ما ذكره سيبويه من ألفاظ في نصه هو ما يستخدمه العرب القدامى في لغتهم، فتلك لغة حية حياة أهلها، فالكلمات " ضب، وكلب، وفرخ " مستخدمة في واقع العرب قديما، وهذا يدل على أن العرب عندما قعّدوا لغتهم لم يستشهدوا للأبنية والصيغ بألفاظ وكلمات غريبة عن واقعهم، وإنما جاءت شواهدهم من واقع الحياة؛ فأكسبت القواعد جذالة، وقوة، وأثرا، ورونقا وجمالا، ومن ثم كانت اللغة العربية لغة قوية غنية.

ويزداد الأمر وضوحا مع نص للمبرد؛ حيث يقول:" واعلم أن فَعالا، وفِعالا، وفُعولا، وفَعِيلا، وفَعولا ترجع في الجمع في أدنى العدد إلى شيء واحد؛ لأنها مستوية في أنها من الثلاثة، وأن ثالثها حرف لين، ألا ترى أنك تقول: قّذال وأقذلة، وغَزال، وأغزلة، وتقول: غِزلان، كما تقول في غراب: غِربان، وتقول: قُذُل، كما تقول جُرُب، وكُثُب، وتقول في عمود: أعمدة، وعُمُد، وفي رسول: رُسُل، فمجرى هذا كله واحد، فإن تُرك منه شيء ما فللاستغناء عنه بغيره".[4]

1- ابن جني الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنّي ت. 392هـ . تحقيق . محمد علي النَّجَّار . الهيئة العامَّة للكتاب . القاهرة . الطبعة الثالثة . 1406هـ . 1986م 1/ 69.

2- د/ السامرائي 53

3- سيبويه 3/ 567

4- المبرد المقتضب 2/ 210، 211

وكذلك عبر المبرد بكلمات تقوي الملمح الذي أشرنا إليه من قبل، نحو:" قذال "، و "غزال "، و "غراب "، و" عمود "، وهذه كلمات كان يعايشها العربي في يومه، بل ويتعامل معها؛ ولذا كانت لغتهم وقتها أقرب إلى الفهم والاستيعاب؛ لأنها نأت بنفسها عن الشواهد الافتراضية.

وكان للمحدثون نصيب من ذلك، فلما تحدثوا عن التقارض بين أبنية الأفعال المزيدة – مثلا – نجدهم يستخدمون ألفاظا من واقعهم لا من واقع القدامي، وهذا الشيخ الحملاوي – رحمه الله – يستخدم بعض الألفاظ الحديثة في نصوصه، ومنها: "وربما كان (فاعل) بمعنى " فعَّل " المضعف للتكثير، كضاعفت الشيء، وضعَّفته، وبمعنى " فعَل "، كدافع ودفع، وسافر وسفر ".[1]

ويقول في تقارض معنى " فَعَّل ": " يكثر استعمالها في ثمانية معانٍ، تشارك " أفعل " في اثنين منها، وهما: التعدية، كقوَّمت زيدا وقعّدته، والإزالة، كجرَّبت البعير، وقشَّرت الفاكهة، أي: أزلت جرَبه، وأزلت قشره ".2

فالأفعال: "ضاعف "، و" دافع "، و " سافر "، و"قوّم "، و"جرّب "، و "قشّر " إنما هي كلمات من واقعنا وبيئتنا الحديثة تناسب زمانها.

إننا ونحن ندرس ظاهرة التقارض نلمح عدة أشياء مهمة منها:

أولا: أن لدى القدامى وعيا بأهمية المعنى في تناولهم التقارض بين الصيغ والأبنية، مثل سيبويه، وابن جني.

ثانيا: أنه في رأيي أن قراءة بعض النصوص للقدامى والمحدثين من خلال شخصنة[3] القواعد عامل مهم في تبادل الصيغ وتقارضها.

ثالثا: أن من المحدثين من أسهم بدور فعال في تناول هذه الظاهرة، مثل صبحي الصالح، وتمام حسان، ومحمود فهمي حجازي، وفاضل السامرائي وغيرهم.

رابعا: أن اللغة العربية لغة غنية بمفرداتها وصيغها وظواهرها لا تسايرها في ذلك لغة أخرى.

خامسا: أن اللغة العربية يمكن أن تسهم في الارتقاء بالمجتمع، وبناء حضارته، والمحافظة على قيمه ونشرها؛ وذلك من خلال دراسة القواعد برؤية أخرى، فلا يكون هم الدارسين الوقوف على القاعدة، بل يتعداه إلى معرفة المعنى في سياقه، وقل إن شئت كما تقدم من قبل إمكانية شخصنة القواعد، واستنباط القيم والدروس من خلالها، فما وضع القواعد إلا أشخاص لهم عقول تفكر، وقلوب تشعر وتحس.

سادسا: أن مصطلح التقارض قد ورد استخدامه عن اللغويين بعدة معان، نحو التعاقب، والتداخل، والنيابة، والاستغناء.

سابعا: أن في ظاهرة التقارض بحثا عن بديل لغوي؛ من أجل تقوية المعنى.

ثامنا: أن اللغويين القدامى اهتموا بظاهرة التقارض ، وتناولوها في مصنفاتهم، وإن لم يذكر المصطلح إلا متأخرا.

تاسعا: أن من اللغويين القدامى من نظر إلى ظاهرة التقارض بين الصيغ والأبنية من حيث شخصنة الأبنية؛ فأنتج السياق معاني متنوعة أثرت المعاجم اللغوية.

عاشرا: أن التقارض يقوي الصلة بين الصيغ من خلال تبادلها، ونيابة بعضها عن بعض.

حادي عشر: أن اللغة العربية لغة تلبي متطلبات الحياة من خلال ظواهرها، ومنها ظاهرة التقارض.

المصادر والمراجع

---

[1]- الحملاوي ص 79

[2]- الحملاوي ص 79

3- يقول دكتور/ أحمد مختار عمر:" شَخْصَنَ يُشَخْصِنُ شخْصَنَةً، فهو مُشخصِن، والمفعول مُشَخْصَن، وشخصن الأزمة: جسّدها، أضفى عليها صفة آدمية ". د/ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى 1429هـ، 2008م 2/ 1175

1- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد المتوفى 852 هـ
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .

2- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر 608 – 681 هـ
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه دكتور/ إحسان عباس ، طبعة دار صادر، بيروت.

3- الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي.
شذا العرف في فن الصرف ، تقديم وتعليق د/ محمد بن عبد المعطي، طبعة دار الكيان.

4- أحمد محمد عبد الله.
ظاهرة التقارض في النحو العربي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

5- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المتوفى770هـ،
كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، الطبعة الخامسة 1922م.

6- د/ أحمد مختار عمر.
معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى 1429هـ، 2008م
2/ 1175

7- الجوهري أبو نصر ،إسماعيل بن حماد المتوفى 393هـ ، 1003م.
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة 1990م

8- تمام حسان.
اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى 1428هـ ، 2007م

9- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود
المفصل ، الطبعة الحجرية.

10- الحطيئة، أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك.
ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت 186- 246هـ ، دراسة وتبويب د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ ، 1993م

11- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ت 911هـ
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية1399هـ، 1979م.

12- المرادي، حسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم المتوفى 749هـ.
توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي ، شرح وتحقيق أ. د. عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1422هـ، 2002م.

13- الشيخ خالد الأزهري.
شرح التصريح 2/ 300, دار الفكر , القاهرة , بدون تاريخ. .

14- الدكتورة خديجة الحديثي.
أبنية الصرف في كتاب سيبويه، طبعة مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، سنة 1385هـ ، 1965م.

بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ت. 769هـ.

15- خير الدين الزركلي.
الأعلام ،دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة مايو 2002

16- شيخاوي حميد.
الأبنية الصرفية ودلالاتها في سورة الكهف، رسالة ماجستير للباحث شيخاوي حميد، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقائد – تلمسان ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2012 – 2013م

17- الدكتور صبحي الصالح.
دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة مايو 2004م.

18- دكتور. طاهر عبد الحي محمد شبانة.
ظاهرة التقارض أبعاد صرفية وملامح دلالية، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، العدد الأربعون، المجلد الأول، 2007م.

19- عباس حسن.
النحو الوافي، الطبعة التاسعة, دار المعارف.

20- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري المتوفى سنة 577هـ.
نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق د/ إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الثالثة 1405هـ ، 1985م

21- البغدادي ، عبد القادر بن عمر 1030، 1093
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الرابعة 1420هـ ، 2000م.

22- أ. د. عبد الله أحمد جاد الكريم حسن.
وسائل التوفيق بين القاعدة والتطبيق
http://www.alukah.net/literature_language/0/92182/#ixzz3qInFRr2y

23- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري المتوفى سنة 761 هـ
- أوضح المسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق , محمد محيي الدين عبد الحميد , المكتبة العصرية , صيدا, بيروت , "بدون تاريخ".
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، طبعة التراث العربي، السلسلة التراثية (21).

24- قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري المولود في سنة 698 والمتوفى في سنة 769هـ شرح ابن عقيل, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد , طبعة المكتبة العصرية , صيدا , بيروت سنة 1418هـ , 1997م.

25- دكتور/ عبده الرجحي.
- التطبيق الصرفي ، طبعة دار النضة العربية، بيروت، لبنان .
- في التطبيق النحوي والصرفي، ، طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1992م

26- أبو الفتح عثمان بن جنّي ت. 392هـ.

- الخصائص لأبي الفتح تحقيق . محمد علي النَّجَّار . الهيئة العامَّة للكتاب . القاهرة . الطبعة الثالثة . 1406هـ . 1986م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، د/ عبد الحليم النجار، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة 1415هـ ، 1994م .

27- ابن سيده، علي بن إسماعيل بن سيده المتوفى 458هـ
المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، معهد المخطوطات بجامعة الدلو العربية، الطبعة الأولى 1377هـ ، 1958م.

28- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين المتوفى 356هـ، 976م.
كتاب الأغاني ، تحقيق د. إحسان عباس، ود. إبراهيم السعافين، أ. بكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 1429هـ، 2008م.

29- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبرت 180هـ
الكتاب ،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

30- دكتور/ فاضل صالح السامرائي.
معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع ، الأردن، الطبعة الثانية 1428 هـ ، 2007م،

31- أبو بكر محمد بن سهل بن السّراج ت.313هـ .
الأصول 430/2, تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي, الطبعة الثالثة, مؤسسة الرسالة, بيروت،سنة 1417هـ , 1996م.

32- الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.

33- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة.

34- محمد عزيز عبد المقصود.
بنية جموع التكسير في شعر شعراء المعلقات دراسة وصفية تحليلية رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم 2005م.

35- أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي المتوفى 1206هـ.
حاشية الصبان على شرح الأشموني 170/4، تحقيق طه عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية، الحسين، القاهرة.

36- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي
تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت 1385هـ ، 1965م.

37- ابن منظور، محمد بن مكرّم بن علي، وقيل: رضوان بن أحمد، بن أبي القاسم بن حقة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، 630 – 711هـ
لسان العرب لابن منظور، مادة قبض تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، طبعة دار المعارف، مصر.

38- دكتور/ محمود فهمي حجازي.
مدخل إلى علم اللغة دار قباء للتوزيع والنشر والتوزيع.

39- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والظنون الأعظم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان

40- دكتورة. وسمية عبد المحسن المنصور

- صيغ الجموع في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1425هـ ، 2004م.
- ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفيّة نشر في: (مجلة الدراسات اللغوية – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) 2002م. ونشر مرة ثانية في إصدارات مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية 2005م.الإصدارة الأولى الملحقة بالعدد 54 / العام 2005 م، وأعيد نشره في: إصدارات مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية 2005م.

41- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي المتوفى 643هـ

شرح المفصل للشيخ العالم العلامة جامع الفوائد ، طبعة إدارة الطباعة المنيرية.